# هيأة الوحي ومظاهره وآثاره في صحيح مسلم

د. مسلم شاكر جبر

جامعة الإمام الصادق عليه السلام/ كلية الآداب

Muslimshaker36@gmial.com

تأريخ الطلب: ١٣/ ١٢/ ٢٠٢١

تأريخ القبول:١٨/١/ ٢٠٢١

**ملخص بحث**

يشكل الوحي الطريق الموصل للديانات الإلهية؛ إذ يمثل الوسيلة والصلة التي تربط الأنبياء بربهم. وذلك ان الله تعالى يرسل رسله إلى البشر مبلغين لهم ما أراده سبحانه وتعالى من شرح سواء بواسطة أو بغير واسطة، وهذا الوحي هو خارج عن الذات المحمدية وليس اثار من اثار المرض، أو الجنون، وليس تعبيرا عن اللاوعي الجماعي أو الشعور، وليس أثراً من آثار الزهد والتصوف الذي اخذ بها الرسول قبل البعثة، وليس أثراً من الآثار الخارجية والداخلية التي تأثر بها الرسول (ص) سواء أكان من العرب قبل الإسلام أو من اليهود والنصارى المقيمين بمكة والمدينة إبان البعثه النبوية.

ومن هنا تنهار كل أقوال المستشرقين وغيرهم، وما علينا إلا ان نؤمن بان الوحي هو ما يكلف الله به أنبيائه من آياته وكُتبه لتبليغها إلى العباد مهما اختلفت صوره وتعددت، تصديقاً لآيته الكريمة قال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾(١)

## Research summary

Revelation is the path that leads to the divine religions; It represents the means and the link that binds the prophets to their Lord. And that is because God Almighty sends His

Messengers to mankind, conveying to them what He wanted of explanation, whether by means or without an intermediary. The asceticism and mysticism that the Messenger adopted before the mission, and it is not one of the external and internal effects that the Messenger (peace be upon him) was affected by, whether he was from the Arabs before Islam or from the Jews and Christians residing in Makkah and Madinah during the Prophet's mission.

From here all the statements of orientalists and others collapse, and we only have to believe that the revelation is what God mandated His prophets with from His verses and He wrote to convey them to His servants, no matter how different and numerous its forms may be, in confirmation of His noble verse: And He saw a veil, or He sends a Messenger, and He reveals by His permission what He wills.

**المقدمة**

الحمد لله الذي تتم به الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين حجة الله على الخلق أجمعين نبي الرحمة وإمام الهدى عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد ...

فمن خلال إطلاعي على كتاب إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض السبتي (٥٤٤ هـ) في صحيح مسلم، أثيرت في نفسي كيفية الوحي وأهميتها في بابها، إذ لم تحضى بدراسة مستفضية من الباحثين، ولم تُشمل بعناية خاصة على الرغم من تناثرها في بطون المؤلفات ومن هنا بدأت رغبتي في الكاتبة في ها الموضوع الشيق الذي يسلط الضوء على مسألة مهمة من مسائل علوم القرآن المتنوعة. ولما كان الموضوع يتعلق بدراسة الوحي وكيفياته وتجلياته وما يتعلق بها من فروع اخرى فقد استقام عنوانه بـ (هيأة الوحي ومظاهره وآثاره في صحيح مسلم).

وقد درسته على وفق المنهج التحليلي المتضمن العرض والتحليل لطرح بعض آراء القاضي عياض لامور الوحي بالاضافة إلى بعض الادوات اللازمة كنسبة الاقوال إلى اصحابها والنقل من مصادرها وبيان ألفاظها وقد اقتضت خطة البحث إلى:

مقدمه، التمهيد، وثلاثة، مطالب، ثم الخاتمة

- المقدمة: اختيار الموضوع، أهميته، منهج البحث، مشكلة البحث
- التمهيد: الوحي الاساس الأول
- المطلب الأول: الوحي في اللغة والشرع
- المطلب الثاني: هيئات الوحي الالهي
- المطلب الثالث: آثار ومظاهر الوحي
- الخاتمة
- المصادر والمراجع

## التمهيد

## الوحي الاساس الأول

الوحي هو الاساس الأول الذي يقوم على حقيقة معنى النبوة والرسالة، ومن ثَّم فهو المنبع الأول لعامة الاختبارات الغيبية، وشؤون العقيدة وأحكام التشريع ،ولقد جاءت الآيات القرآنية تؤكد هذا الاختصاص وتحققه بقوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ٤﴾[٢]

وذلك أن حقيقة الوحي هي الفيصل الوحيد بين الإنسان الذي يفكر من عنده ويشِّرع بواسطة رأيه وعقله، والانسان الذي يبلغ عن ربه دون أن يغير أو ينقص أو يزيد. وقد حاول الكثيرون من أعداء الإسلام التلبيس في ظاهرة الوحي وحقيقته، ثم الخلط بين الإلهام وحديث النفس، وليس ببعيد على الله تعالى أن يختار من عباده نفوساً لها نقاء الجوهر وسلامة الفطرة ما يعدها للفيض الإلهي، والوحي السماوي، والاتصال بالملأ الأعلى، ليلقي إليها برسالاته التي تسد حاجة البشر في رقي وجدانه وسمو أخلاقه، واستقامة

نظامه وهؤلاء هم رسله وانبياؤه، ولا غرابة في أن يكون هذا الاتصال بالوحي السماوي.

ان مصدر كلمة الوحي في حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) هو الخبر الذي نقل الينا عن طريق القرآن وعن طريق السيرة وصحاح الكُتب من السنة النبوية، فلولا ان هذه الكلمة وردت الينا من هذه المصادر لما كان لها وجود في افكارنا ومن ثم لم يكن ليقوم حولها اي بحث، ولم تكن بأية نظرية من النظريات أو معنى من المعاني لا عند المسلمين ولا عند غيرهم. فالناس اليوم يشاهدون التنويم المغناطيسي، وهو يوضح لهم أن اتصال النفس الانسانية بقوة أعلى منها يحدث أثراً يقرب إلى الافهام ظاهرة الوحي ـ حيث يستطيع الرجل القوي الإرادة أن يتسلط بإرادته على من هو أضعف منه فينام نوماً عميقاً، ويكون رهن إشارته، ويلقنه ما يريد فيجري على قلبه ولسانه، واذ كان هذا فعل الإنسان بالإنسان فما ظنك بمن هو أشد منه قوة [٣]؟

ونلاحظ اليوم الناس يسمعون الأحاديث المسجلة التي تحملها موجات الأثير، عابرة الوهاد والنجّاد، والسهول والبحار، دون رؤية ذويها، بل بعد وفاتهم، ثم اصبح الرجلان يتخاطبان في الهاتف، أحدهما في اقصى المشرق والاخر في أقصى المغرب، وقد يتراءيان مع هذا التخاطب، ولا يسمع الجالسون بجانبها شيئا سوى أزيز كدوي النحل الذي في صفة الوحي.

هذه وغيرها أمثلة تفسر لعقولنا حقيقة الوحي. وقد شاهد الوحي معاصرون ونقل لنا بالتواتر المستوفي لشروطه بما يفيد العلم القطعي إلى الأجيال اللاحقة، ولمست الإنسانية أثره في حضارة أمته، وقوة أتباعه، وعزتهم ما استمسكوا به، وانهيار كيانهم وخذلناهم ما فرطوا في جنبه، مما لا يدع مجالاً للشك في إمكان الوحي وثبوته.

ولم يكن رسولنا (صلى الله عليه وسلم) أول رسول اوحي اليه، بل اوحى الله تعالى إلى الرسل قبله بمثل ما اوحى اليه قال تعالى: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا

لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا١٦٤﴾[٤] فليس هناك في نزول الوحي على محمد (صلى الله عليه وسلم) ما يدعو إلى العجب، ولذا انكر الله على العقلاء هذا في قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ٢﴾[٥] وعلى وفق هذه المعطيات جاء هذا البحث ليناقش مسالة الوحي، فيما له وما عليه في المطالب الآتية:

## المطلب الأول

## الوحي في اللغة والشرع

يُعد الكلام عن الوحي من أسس البحث ومرتكزاتها، إذا لوحي به بدأت الرسالة المحمدية وبه عُرِفَ خبر السماء، فإذا كان عالم الشهادة له وسائله المعرفية من الحواس الخمس والعقل والتجربة، فان العالم الغيبي له وسيله ايضاً وهي الوحي[٦] ولكي أعطي انطباع وتصور للقارئ الكريم لفهم ماهيته، فلابد من إعطاء تصور كامل للموضوع المبحوث عنه.

### ١. الوحي في اللغة

لكلمة الوحي في اللغة معانٍ عند العلماء نختصر منها:

- قال الجوهري (الوحي): الاشارة، والكتابة، والرسالة، والالهام، والكلام الخفّي وكل ما القيته إلى غيرك [٧].
- وقال الفيروز آبادي (الوحي): وحي أوحى إليه أي: بعثه، وألهمه والوحي: السيد الكبير، والنهار، والملك، والعجلة، والإسراع[٨] ويتبين لنا أن المعنى اللغوي (للوحي) يدور حول الإعلام في خفاء وان اختلفت ألفاظه عند العلماء سواء كانت إشارةً أو إلهاماً أو غيرها.

### ٢. الوحي في الشرع:

كذلك لكلمة الوحي في الشرع عند العلماء عدة تعريفات وجميعها تعبر عن معانٍ متقاربة، واما الاختلاف في جلها لفظي، ولابد لنا من الاطلاع على بعض هذهِ التعريفات التي ذكروها.

- وعرفه الطوسي الوحي بأنّه: "البيان الذي ليس بإيضاح، نحو

الإشارة والدلالة، لأنّ كلام المَلَكَ كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) على هذا الوجه"[٩].

- وعرفه ابو البقاء الحنفي بقوله: الوحي هو الكلام الخفي يدرك بسرعة ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة[١٠].
- وحدد السيد الطباطبائي الوحي بأنّه: "إلقاء المعنى بنحو يضفى على غير من قُصِدَ إفهامه"[١١].
- عرفه الزرقاني بقوله: الوحي في لسان الشرع أن يعلّم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من الوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر[١٢].

ونلاحظ من خلال هذه التعريفات الموجزة أن الوحي أصله الإعلام في خفاء وسرعة وهو في حق النبي (صلى الله عليه وسلم) وغيره من الانبياء - عليهم السلام. وقد اتخذت مسألة الوحي في الادب الديني الإسلامي عبارة عن علاقة معنوية خفية بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وعالم الغيب، يتم من خلاله تبيان الرسالة الالهية، وهو مختص بالأنبياء . عليهم السلام . ويحتاج إلى واسطة في بعض الاحيان (مثل واسطة الملائكة) ويستغني عن الواسطة في احيان اخرى.

## المطلب الثاني

## هيأت الوحي الإلهي

إن لنزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وسلم) وتلقيه الرسالة هيئات وأمور تحصل لم تكن على نمط واحد بل على أنماط مختلفة ومن خلال تعقبّها ومتابعة إلفاظها وجدتها كالتالي:

١. نزول الملك بصورته الحقيقة:

من خلال الحديث النبوي الذي روته السيدة عائشة (رضي الله عنها) وهي تتحدث عن بدء الوحي، والصور الملائكية التي نزل بها الملك على حضرة النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت: "...حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: أقراء...." [١٣]، فأن أطلاق لفظة الملك دون

تقيد تدل على أنها صورته الحقيقية وكذلك ذكرها في أول الحديث أول ما بدئ به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الوحي الرؤيا الصالحة فأبانت عن هيئته، وإن لفظ الملك في شرحه للحديث ولم يبين.... قال: "فأخذني فغطى حتى بلغ مني الجهد..." [١٤]، وهذا الغط من جبرائيل ـ عليه السلام ـ إشغال له عن الإلتفات إلى شيء من أمر الدنيا، وإشعار له بالتفرغ لما أتاه به[١٥]، وفعل ذلك ثلاثا فيه تنبيه على استحباب تكرار التنبيه ثلاثا، وقد استدل بعض العلماء على جواز تأديب المعلم للمتعلمين ثلاثا، وكل ذلك ليبلو صبره فيرتاض، لاحتمال ما كلفه من أعباء النبوة[١٦]، وإذا ذهبنا إلى هيأة الملك مرة أخرى في الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله الانصاري عن فترة الوحي "... فإذا الملك الذي جائني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والارض"[١٧]، وفي هذا الحديث وشبهه تحقيق العلم بتصور الملائكة على صور مختلفة، وإقدار الله على التركيب في أي شكل شاءوا من صور بني أدم وغيرها، وأن لهم صوراً في أصل خلقتهم مخصوصة بهم، كل منهم على ما خلق عليه وشكله[١٨].

وإذا ذهبنا إلى الحديث الذي يرويه ابن مسعود (رضي الله عنه) من "أن النبي (صلى الله عليه وسلم) رأى جبريل له ستمائة جناح"[١٩]، ذكر عنه القاض عياض[٢٠]:" وفيه أن الملائكة بجعل الله خلقها متى شاء، في أي صورة شاء، وأن لهم في ذاتهم صورا خلقهم الله عليها، وهذا النبي (صلى الله عليه وسلم) أكثر ما كان يرى الملائكة في صورة الإنس ليأنس إليه، وتطمئن نفسه ولا يهول عظيم صورته الحقيقية"[٢١].

٢. نزول الملك بالهيأة البشرية.

ومن الهيئات التي يتمثل بها الملك أن يأتي بصورة رجل، فقد ورد في الحديث الذي رواه مسلم مجيئة بصورة الصحابي دحية الكلبي ـ رضي الله عنه ـ وهذا الحديث ورد عن الصحابي سلمان (رضي الله عنه) قال: "... وأنبئت أن جبريل ـ عليه السلام ـ أتى نبي الله (صلى الله عليه وسلم) وعنده ام سلمة، قال: فجعل يتحدث، ثم قال: فقال نبي الله (صلى الله عليه وسلم) لأم

سلمة: من هذا؟ أو كما قال: قالت: هذا دحية..." [٢٢].

فإذا لاحظنا رؤية ام سلمة جبريل - عليه السلام - في صورة دحية الكلبي ذهب العلماء على دليل جواز رؤية بعض البشر للملائكة، وإن لنزول الوحي شدة فينزل بصورة مختلفة بما يتناسب مع الظروف التي تحيط بالحادثة.

وكذلك روى مسلم في صحيحه عن عمر (رضي الله عنه)، قال: بينما نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد البياض ،شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرف منا احد ... ثم قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "يا عمر أتدري من السائل؟ قلتُ الله ورسوله أعلم قال: فأنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"[٢٣]،

وفي رواية عن ابي هريرة (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوما بادرا للناس، فأتاه رجل... فسأله عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان وعن الساعة... قال: ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ردوا على الرجل فأخذوا ليردوه، فلم يروا شيئاً، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم"[٢٤].

هذه الصور الثلاثة لهيأة الملك البشرية بصورة رجل وبرجل شديد بياض الثياب لا يُرى عليه اثر السفر ثم صورة الصحابي دحية الكلبي علل القاضي عياض - رحمه الله - سبب مجيئه بهذه الهيأة فقال:

**أولاً**: لا تحتمل القوى البشرية الضعيفة غالباً رؤيتهم على غير ذلك، ثم أستشهد بالآية الثانية قال تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا**﴾[٢٥].

**ثانياً**:أكثر ما كان يرى الملائكة في صورة الإنس ليأنس إليه، وتطمئن نفسه (صلى الله عليه وسلم)[٢٦].

٣. صلصلة الجرس

جاء ذكر هذه الهيأة من هيأة الوحي بجواب النبي(صلى الله عليه وسلم) لسؤال الصحابي الحارث بن هشام (رضي الله عنه) كيف كان يأتيك الوحي؟ فقال النبي(صلى الله عليه وسلم):" أحيانا يأتني مثلُ صلصلة

الجرس وهو أشد عليّ..." [٢٧]، وقبل الشروع في التفعيل عن الحديث لا بدّ من بيان معنى صلصة الجرس:

قال ابن منظور الصلصلة في اللغة: صوت الحديد إذا حرك، يقال صل الحديد وصلصله[٢٨]، وجاء في مختار الصحاح: الجرس الذي يعلق في عنق البعير والذي يضرب به أيضاً[٢٩].

اما في الشرع قال الجرجاني: "إجمال الخطاب الإلهي الوارد على القلب بضرب من القهر ولذلك شبه النبي (صلى الله عليه وسلم) الوحي بصلصلة الجرس"[٣٠].

فقد ذكر القاضي عياض . رحمه الله . لمعنى صلصلة الجرس علل سبب مجيئه بهذه الهيأة ، لما عرفنا سابقاً من الشدة التي ترافق التنزيل، فلا بد من تهيئة لهذا الأمر العظيم المتعلق بالرسالة المحمدية، وذلك ليستغرق عن أمور الدينا، ويفرغ حواس الصوت الشديد، حتى لا يسمع غيره فيتأهب لسماعه، ويفهم ما يلقي إليه وهذه فائدة الغط في الحديث الأخير[٣١]، الذي ترويه السيدة عائشة (رضي الله عنها) "... فجاءه الملك، فقال: أقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: أقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: أقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني، فغطني الثالثة حتى بلغ الجهد، ثم أرسلني..." [٣٢].

ونلاحظ كل هذه تهيئة لمعالجة التنزيل لما فيه من استعداد نفسي لهذا الامر العظيم، ولا شك أن التوازن النفسي من أهم السمات التي تميز الشخص في سلوكه وفي تفكيره، والتوازن النفسي مظهر إنساني يعمل على إبرازه والتحلي به عاملان مهمان جداً:

الأول: الاستقرار والامان والسكنية، وهي علامات ومظاهر خارجية يلاحظها الناس على الشخص الذي يتميز بهذا التوازن النفسي، وتنكس هذه المظاهر النفسية على سلوك الشخص وفي حديثه وتفاعله مع الاخرين.

الثاني: الاطمئنان القلبي الذي يظهر أثره في منبع التفكير وطرائق التعبير عما يدور في القلب من أفكار[٣٣].

٤. الإلهام:

هو إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، وما يلقى في الروع بطريقة الفيض، يخص الله جل جلاله به بعض اصفيائه، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[٣٤]،وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [٣٥]، وهذا خاص بالبشر، أما البهائم فهو غريزي. قال: الرازي: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [٣٦]،وهو الالهام، والمراد أنه ـ تعالى ـ قرر في نفسها هذه الاعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر[٣٧].

وعرفه رشيد رضا: بأنه وجدان تستقيه النفس وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين اتى، وهو اشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسر[٣٨]. فالحديث الذي يرويه مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: "... ثم حبب اليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث..." [٣٩]، لذلك نلاحظ تحنثه في أول مبادئ بشارات نبوته وذلك ان تحبب الخلوة له إلهام من الله، لما اراد به خلوة بنعمة، وتفرغه للقاء رسل ربه، وسماع وحيه وقطعة العلائق الشاغلة عن ذلك.

٥.الرؤيا الصالحة:

ان لكل هيأة من هيئات الوحي مقدمات تصاحب التنزيل بما يتوافق استعداده لهذا التنزيل، من هذه الهيئات الرؤيا الصالحة، ان الله سبحانه يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلق في قلب اليقظان، والله يفعل ما يشاء ولا يمنعه من فعله نوم ولا يقظة، فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه سبحانه جعلها علماً على أمورٍ أُخر. فإذا ذهبنا إلى الحديث الشريف عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: ... الرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يُمَدِّنَ المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فيصلِ، ولا يُحدِّثُ بها الناس..." [٤٠]، والذ يهمنا في هذه القطعة الخامسة الرؤيا الصالحة للأنبياء وأن رؤيا الأنبياء وحيٌ كما ذكر اهل العلم، وحق وصدق، لا اضغاث فيها، ولا سبيل

للشيطان اليها، ووضعها بالمعالجة إضافة اختصاص وإكرام؛ لسلامتها من الاضغاث، وهو التخليط وجمع الاشياء المتضادة، وطهارتها عن حضور الشيطان وإفساده لها، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[٤١]، والكل من عنده[٤٢]، ولهذا كانت أول تباشير النبوة وقد وردت الاحاديث قاطعة بوقوعها، كان أول ما بدئ به الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا مثل فلق الصبح، وفي هذا حكمة من الله تعالى لئلا يُفاجئه الملك، ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تتحملها قوى البشرية، فبدأ امره بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة، من صدق الرؤيا، وهب مقدمات ومبشرات وقد قرر القاضي عياض . رحمه الله . عدة امور منها:

أولاً: ان الرؤيا الصادقة احد خصال النبوة، وتباشير الكرامة وجزء منها.

ثانياً: وانها أول ما نزل من منازل الوحي.

ثالثاً: وان رؤيا الانبياء وحي، وحق وصدق لا اضغاث فيها، ولا سبيل للشيطان إليها[٤٣].

## المطلب الثالث

## آثار ومظاهر الوحي

إن الذي مما شك فيه أن الوحي نزل على حضرة النبي(صلى الله عليه وسلم) لتحقيق أمر عظيم، وهذا التنزيل لا بد له من مقدمات تسبقه، كون المبلغ نزل بصفته الملائكية والموحى اليه بصفته البشرية، نلاحظ هذا الاتصال شاق على النفس البشرية، وان هذا التنزيل وهذه الافعال تصاحبها آثار على الجانب النبوي منها:

١. الشدة والكرب

ففي الحديث الذي ترويه السيدة عائشة (رضي الله عنها) يبدو أن لهذا الحديث الأثر الجلي من شدة التنزيل، إذ قالت: "... فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني[٤٤]، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: أقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: أقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني، فغطني الثالثة حتى بلغ الجهد،..."[٤٥]،فان قوله حتى بلغ مني الجهد إلى: الغاية والمبالغة والمشقة. فان السبب والحكمة من وراء

هذا اللفظ من جبريل ـ عليه السلام ـ وكذلك الجهد الذي صاحب التنزيل:

أولاً: إشغال له عن الالتفات إلى شيء من امر الدنيا.

ثانياً: وإشارة بالتفرغ لما اتاه به.

ثالثاً: وفعل ذلك ثلاثا فيه تنبيه على استحباب تكرار التنبيه ثلاثاً[٤٦].

٢. التفصد عرقاً واحمرار الوجه.

ومن هذه الاثار التي وردت في كتب الصحيح ما ذكره مسلم في صحيحه عن السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت: "إنه كان لينزل على الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الغداة الباردة، ثم تفيض جبهته عرقاً"[٤٧]، وإذا لاحظنا الحديث الآخر عن أبي سعيد الخدري، ...قال: "ورأينا انه ينزل عليه، فأفاق يمسح عنه الرصفاء[٤٨]..."[٤٩]، يعني العرق من الشدة، واغلب ما يسمى عرق الحمى[٥٠]، ويبدو ان القاضي ـ رحمه الله ـ اراد ان يقرر وجود التصفد للعرق دون الاطالة في الجزئيات فتبين الشدة التي ترافق التنزيل، واشار اليه في بداية ذكره للوحي وعدها ما ذكرناه فقال: "وإلى غير ذلك مما وقفنا عليه ومما لم نقف عليه"[٥١]، وكانه اشار على وجودها من غير اطالة.

٣. تحريك الشفتين اثناء الوحي

ان لكل تكليف خصوصيته وأهميته، وكلما عظم، المكلف به يزداد حرصك وخوفك لهذا الامر كيف وهو يأتي من ربٍ عظيم، وهذا مما جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يزداد حصره وخوفه لهذا الرسالة العظيمة، وهذا التكليف.

فكان (صلى الله عليه وسلم) في أول عهده بالوحي يتعجل في تلقفه ويحرك لسانه بالقرآن من قبل ان يفرغ امين الوحي من ايحائه اليه وذلك للإسراع بحفظه والحرص على استظهاره حتى يبلغه للناس[٥٢].

ومن هذه الآثار والمظاهر عند نزول الوحي ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [٥٣]،قال: "كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، فكان ذلك يعرف منه"[٥٤]، والرواية الاخرى

باختلاف يسير ايضاً عن ابن عباس (رضي الله عنه) في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ١٦﴾ [٥٥]، قال: "كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يعالج من التنزيل شدة كان يحرك شفتيه"[٥٦]، ومما تكفل بها الحق سبحانه للنبي(صلى الله عليه وسلم) وهي: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ١٧﴾[٥٧]، وكان تحريك النبي (صلى الله عليه وسلم) شفتيه ولسانه وانه امر لا يعجل به ليأخذه وضمن له حفظه في صدرك وقرآنه على لسانك أي: قراءته له.

وقد ذكر ابن عباس (رضي الله عنه) فقال: "والشدة هنا لعظم ما يلاقيه من هيبة الملك وما يأخذه عنه، كما جاء عن الملائكة وخصائصها لذلك"[٥٨]، وفي هذا دلالات لحرصه (صلى الله عليه وسلم) من اجل حفظه حتى لا يضيع منه أي شيء ويبلغه للناس، فجاء التأكيد من الحق سبحانه وتعالى بحفظه وبيانه للناس فقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ١٩﴾[٥٩]،

٤. ارتعاد البوادر والفوائد

من المظاهر التي زامنت التنزيل فيما ورد ايضاً في صحيح مسلم كما ذكره العلماء هو الرجفة للفؤاد والبوادر التي وردت بالحديث عن بدء الوحي الذي ترويه السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت: "... فرجع بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة..." [٦٠]، (ترجف بوادره) أي: ترعد بوادره وتضطرب، والبوادر من الإنسان وغيره: اللحمة التي بين المنكب والعنق[٦١]، وفي رواية أخرى يرجف فؤاده في الحديث الذي ترويه السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت: "فرجع إلى خديجة، يرجف فؤاده"[٦٢]، وإذا لاحظنا الرواية الاخرى التي يرويها ابو سلمة في حديثه عن الوحي قال: "فإذا هو على العرش في الهواء يعني جبريل . عليه السلام . فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة"[٦٣]، والرجفة كثرة الحركة وهو كله من ثرة الاضطراب، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾[٦٤]، وقد علل القاضي عياض . رحمه الله . سبب هذا الرجفان هو سبب طلبه ان يزمل ويتدثر، أي: يغطى بالثياب، لشدة ما اصابه من هول الامر، ولحقه من شدة الغط وثقل الوحي[٦٥]، لكن نلاحظ الجميل في الامر عدم تغافل القاضي عن اقوال المفسرين مبين الصواب منها

فقال: وان كان قد قال بعض المفسرين: إنه انما كان يفعل هذا فرقا من جبريل لأول ما يلقاه حتى انسى به كمل قال ابن عباس (رضي الله عنه): يريد النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يتدثر فرقاً أي: خوفاً وفزعاً من جبريل ـ عليه السلام ـ[٦٦]، وقيل: بل قيل له: يا ايها المدثر والمزمل لأنه حين اتاه الملك وجده متزملا ملتفاً بثوبه فنودي بصفة حاله، والأول اصح وأولى لفظاً ومعنى، والتزمل والتدثر واحد، ويتبين لنا من خلال الجمع بين الروايتين ان هناك رجفة للبوادر والفؤاد، وان النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يعاني من شدة التنزيل وانه يتلقى امراً عظيماً يرجف من أجله كلُّ جسده الشريف (صلى الله عليه وسلم) حتى يلجئه ذلك إلى الفراش ليلتفه بثيابه.

وأختم القول في هذه الآثار والمظاهر التي صاحبت التنزيل إنها نتيجة حتمية لاختلاف كبير فيما بين الملك المتمثل بالصورة الملائكية والنبي (صلى الله عليه وسلم) المتمثل بالصورة البشرية، فالملك قوة خارجية لها ثقلها على نفس النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا في حالة تمثل الملك بصورة البشر، أما في حالة التحول إلى الملائكية فترافقه من شدة الوحي وثقله ما تظهر عليه من المظاهر مما لا تخفى على أصحابه (رض).

## الخاتمة

بعد هذا التطواف البسيط حول مفهوم (الوحي) يتبين الوصول إلى التالي:

١. ان موضوع الوحي من أوسع الموضوعات التي تناولها المفكرون المسلمون بالبحث والدارسة وادقها.
٢. الوحي أمر غيبي آتٍ من جهة غير انسانية، خارجٌ عن مجال إرادة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعلمه واجتهاده.
٣. هناك تلازم بين الوحي والنبوة، فإثبات احدهما اثبات للآخر؛ لأن الوحي من اخص خصائص النبوة.
٤. قصة بدء الوحي الذي رواه مسلم والبخاري وغيرهما، هذه خصائص الواردة في الحديث لا يمكن أن

نتجاهلها أو نردّها بشكل ما لسببين:

الأول: أمّا ان يعزب صفحاً عن الحديث التاريخ كله وعن هذه النصوص الواردة جميعاً، وعندئذ فليس له ان يتحدث عن شيء اسمه الوحي في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أصلاً؛ لأن المفروض انها كلمة غير موجودة في حياته.

الثاني: وإما أن يعتمدها ولا يصح إنكارها، وعندئذ فان عليه أن يلقي السمع إلى كل ما تشتبه وتنطق به من الحقائق والوقائع، وهناك عدة ادلة علمية ذكرها العلماء على امكان ان الوحي وتقربه إلى الاذهان ومنها على سبيل المثال، التنويم المغناطيسي، والدليل العلمي، وكذلك اكتشاف الاسطوانة المعدنية وغيرها.

التوصيات:

- العناية بدراسة الآراء والمباحث في مباحث علوم القرآن.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

## المصادر والمراجع

**القرآن الكريم**

- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض،٥٤٤هـ، تحقيق، محي اسماعيل، مفهرس على العناوين الدنية، دار الوفاء، ط١، ١٩٩٨م.
- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٤٦٠هـ، ت: احمد حبيب العاملي، ط١، مكتبة الاعلام الإسلامي، دار احياء التراث العربي.
- التعريفات، السيد محمد بن علي الجرجاني، ٨١٦هـ، طبعه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
- التفسير البسيط، الواحدي، ط١، ١٤٣٠هـ، الكتب المطبوعة، الوسم، كتب التفسير، جامعة

الامام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٤م.

- تفسير الفخر الرازي، ٦٠٦هـ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، طبعة جديدة ومنقحه، مكتبة التوثيق والدراسات في دار الفكر.
- الجامع المسند الصحيح المختصر، محمد بن اسماعيل البخاري، ٢٥٦هـ، دار بن كثير، لبنان، بيروت، ٢٠٠٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري الفارابي (٣٩٣ هـ)، تحقيق احمد عبد الغفور عكار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤ ،١٩٨٧.
- صحيح مسلم، أبي الحسن مسلم بن الحجاج، ٢٦١هـ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ٨١٧ هـ، ت: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، ط٨، ٢٠٠٥م.
- الكليات، الكفوي، ٩٣٦هـ ، ت: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيرت، لبنان.
- لسان العرب، لابن منظور، ٧١١هـ، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- مختار الصحاح، محمد بن بكر عبد القادر الرازي ٦٦٦ هـ، ت يوسف الشيخ محمد، المكتبة المصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، لبنان ط٥، ١٩٩٩م.
- معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس ٣٩٥ هـ، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.
- مناقب آل أبي طالب، الحافظ ابن شهرأشوب المازندراني، ٥٩٩ هـ، مجلدات متنوعة، طبعت في قم في اربع مجلدات، ١٣٧٩هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، ١٣٦٧هـ، دار النشر الحلبي وشركاؤه، حلب، سوريا، ط٣.

- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ١٤٠٢هـ، مؤسسة الاعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
- النبأ العظيم، الدكتور محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، طبعة فريدة ومحققة، ٢٠٠٥م.
- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، عز الدين، ٢٠٠٦م.
- الوحي والإنسان، قراءة معرفية، محمد السيد، دار قباء للطباعة، القاهرة، مصر.


الهوامش

(١) الشورى: ٥١.

(٢) سورة النجم: ٤.

(٣) ينظر: النبأ العظيم: ٧٥.

(٤) النساء: ١٦٣-١٦٤.

(٥) يونس: ٢.

(٦) ينظر: الوحي والإنسان ـ قراءة معرفية، ص ٤٩.

(٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري الفارابي (٣٩٣ هـ)، تحقيق احمد عبد الغفور عكار، دار النشر، بيروت، لبنان،١٩٨٧، ٢٥٢٠/٦. وينظر: مختار الصحاح، الحقيقي الرازي ٦٦٦ هـ، ت الشيخ محمد، دار النشر، المكتبة المصرية ـ بيروت، لبنان ط٥، ١٩٩٩م. وينظر: مقاييس اللغة بن فارس ٣٩٥ هـ، ت عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت لبنان ٩٣/٦.

(٨) ينظر: القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروز ايادي ٨١٧ هـ، ١٣٤٢.

(٩) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٤، ص١٢٤.

(١٠) ينظر: الكليات، الكفوي، ١٠١٤هـ، ٩٣٦، ت، عدنان درويش، محمد المصري، دار النشر، مؤسسة الرسالة، بيرت، لبنان.

(١١) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٤٩٢.

(١٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، ١٣٩٧هـ، ٦٣/١، ط٣. دار النشر، الحلبي وشركاؤه، حلب، سوريا.

(١٣) مسلم، باب بدء الوحي، ١٤٠/١، رقم الحديث (١٦٠).

(١٤) المصدر نفسه.

(١٥) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤٨٣/١.

(١٦) ينظر: المصدر نفسه.

(١٧) صحيح مسلم، ١٤٣/١، رقم الحديث (١٦١).

(١٨) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤٩٣/١.

(١٩) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب ذكر سدرة المنتهى، ١٥٨/١، وثم الحديث (٢٨٠).

(٢٠) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمور بن موسى عياض السبني (٤٦٦هـ - ٥٤٤هـ)، العلامة الفقيه المؤرخ الذي كان بين الناس من (العارفين) بعلوم عصره، الاندلسي، والي القفاء.

(٢١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤٧٧/٧.

(٢٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (رض) باب من فضائل أم سلمة أم المؤمنين (رض)، ١٩٠٦/٤، رقم الحديث (١٠٠).

(٢٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، ٣٧/١، الحديث (١).

(٢٤) المصدر نفسه: كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، ٣٩/١، الحديث (٥).

(٢٥) سورة الأنعام: ٩.

(٢٦) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤٧٧/٧.

(٢٧) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب عرق النبي (صلى الله عليه وسلم) وحين يأتيه الوحي، ١٨١٦/٤، الحديث (٨٧)، وينظر: مناقب ال أبي طالب، ج١، ص٤١.

(٢٨) ينظر: لسان العرب، ٣٨٢/١١.

(٢٩) ينظر: مختار الصحاح، ٥٦.

(٣٠) التعريفات، الشريف الجرجاني ٨١٦هـ، ٧٥.

(٣١) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢٩٩/٧، وكذلك مشارق الانوار على صحاح الآثار، ٤٤/٢.

(٣٢) صحيح مسلم، ١٤٠/١، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، الحديث (١٦٠)، وينظر: البخاري، باب بدء الوحي، ٧/١، الحديث (٣).

(٣٣) ينظر: كتاب الوحي والإنسان، قراءة معرفية، محمد السيد، دار النشر: دار قباء للطباعة، القاهرة، مصر، ٢١٥-٢١٦.

(٣٤) النحل: ٦٨.

(٣٥) القصص: ٧.

(٣٦) النحل: ٦٨.

(٣٧) التفسير الكبير: الرازي، ج١٠، ص٧٣.

(٣٨) ينظر: الوحي المحمدي: ٢٦.

(٣٩) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بدء الوحي، ١٤٠/١، الحديث (٢٥٢).

(٤٠) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، ١٧٧٣/٤، الحديث (٦-٢٢٦٣).

(٤١) سورة الحجر: ٤٢.

(٤٢) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢٠٦/٧.

(٤٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٧٩/١.

(٤٤) غطني: معناه عصرني وضمني يقال: غطه وتحته وضغطه وعصره وخنقه وغمزه كله بمعنى واحد، شرح النووي على مسلم، ١٩٩/٢.

(٤٥) صحيح البخاري: ٢٩/٩، باب أول ما بدئ به الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الوحي الرؤيا الصالحة، الحديث (٦٩٨٢)، وينظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ١٣٩/١، الحديث (٢٥٢-١٦٠).

(٤٦) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤٨٣/١.

(٤٧) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب عرق النبي (صلى الله عليه وسلم) حين يأتيه الوحي، ١٨١٦/٤، الحديث (٨٦-٢٣٣٣).

(٤٨) الرصفاء: أي العرق من الشدة واكثر ما يسمى به عرق الحمى، شرح النووي على مسلم، ١٤٤/٧.

(٤٩) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، ٧٢٨/٢، الحديث (١٢٣-١٠٥٢).

(٥٠) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٥٨٩/٣.

(٥١) المصدر نفسه، ٢١٥/٧.

(٥٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، ٣٩٩/٢.

(٥٣) القيامة: ١٦.

(٥٤) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، ٣٣٠/١، الحديث (١٤٧-٤٤٨)).

(٥٥) القيامة: ١٦.

(٥٦) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، ٣٣٠/١، الحديث (١٤٨-٤٤٨)).

(٥٧) القيامة: ١٧.

(٥٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم/ ٣٦٠/٢.

(٥٩) القيامة: ١٩.

(٦٠) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ١٣٩/١، الحديث (٢٥٢-١٦٠).

(٦١) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤٨٤/١.

(٦٢) صحيح مسلم، كتاب الوحي، باب بدء الوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ١٤٢/١، الحديث (٢٥٤-١٦٠).

(٦٣) المصدر نفسه، ١٤٤/١، (٢٥٧-١٦١).

(٦٤) المزمل: ١٤.

(٦٥) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤٨٤/١.

(٦٦) ينظر: التفسير البسيط، ٣٩٣/٢٢.